بأزمة مرضية.

مئير عانى من حالة اختناق واغتراب شديدين: زوجته (العائلة) خانته مع احد الاشخاص، وهو عانى من ذلك معاناة شديدة، اضافة الى اغترابه عن جسده وموت امه وخوفه الشديد من الموت، وخوفه الاكبر من ان ينغلق المكان عليه. كل ذلك يضعنا تجاه حالة اغترابية شديدة. ونلاحظ ان الكاتب تحدث كثيراً عن الموت في مجموع اعماله الادبية الاخرى، وهذا يشير الى ازمة البشر كافراد في ظل الظروف والاوضاع السلبية عامة. عن بروز هذه الظاهرة في ادب شبتاي، كتب الناقد ناتان زاخ ما يلي: «اديب في خلاف مع عالمه؛ وهذا يشمل الاديب الذي ليس في وفاق مع حياته الشخصية؛ يقتل ابطاله قبل كل شيء. بعد ذلك، وفي حالات نادرة، يقتل نفسه ايضاً». بهذا اصاب زاخ صلب ادب شبتاي. فمنذ البداية، نلاحظ ان شبتاي أكثر من التحدث عن الاختناق، والسقوط، والتعفّن، وانغلاق المكان، والخوف من الموت. واشدّ ما تجلى ذلك في رواية «نهاية امر»، التي حكت عن المرض والموت كثيراً.

العربي في الروايتين

لا يظهر العربي في الروايتين كشخصية مستقلة، او متكاملة. فشخصيات الروايتين اليهودية هي التي تحدثت بشكل عابر عن العربي. وممّا تحدث به الابطال عن العربي نستشف الموقف العام من العربي؛ فالعربي هو المخيف بالنسبة الى الشخصيات على الغالب. والصورة، عامة، سلبية ومقولبة، كما سنرى. فغولدمان الابن تذكّر، في رواية «تذكار ما جرى»: «والذي من خلاله رأى، في أحد الايام، العربي في العباءة السوداء والكوفية يرقّص، في الرمل، الدبّين والقرد؛ لكن ستيفانا ادعت بأن هذا الامر كان قبل سنين كثيرة جداً، حتى قبل ان يولد. على اي حال حتى اذا رأى ذلك، لا يعقل انه يتذكّر. لكنه تذكّر كل ذلك كما لو حدث امس واثار الامر استغرابه»[٢٣]. هذه القطعة صوّرت العربي المقولب. لكن العربي، في رواية «نهاية امر»، بدا سلبياً تماماً. فالعربي هو مصدر للخوف والقلق. قد يكون سبب ذلك الصورة التي روّجها جيل المؤسسين والحكّام عن العربي. فمئير ليفشيتس، في رحلته للخارج، تجنّب الاصطدام او رؤية العرب، بل هرب من ذلك. فقال معبّراً عن قلقه: «كل المدينة مليئة بالعرب، وكل انواع قطاع الطرق السود»[٢٤].

تحوّل العربي الى كابوس حتى في خارج البلاد. فمئير قد يلتقي مع عرب في الخارج: «وقال لنفسه ما ردّده لنفسه مرات كثيرة خلال النهار، انه تحت منظر الهدوء والسكينة القروية المسيطرة على هذه المدينة يجري عنف قابل للانفجار، جوهره الرئيس هو الرعاع الغرباء القادمون من العالم الثالث، عرب وسود وابناء آسيا»[٢٥].

ان الصورة الرسمية التي قولبتها الاجهزة الرسمية عن العربي والوسائل الاخرى (كأدب الاطفال) والسياسة الرسمية[٢٦] جعلت من العربي «ازمة !» حتى خارج اطار البلاد. فمئير مطارد من «البعبع!» العربي حتى في الخارج، وهو تجنّب رؤيته، او الالتقاء معه في مكان واحد. فصورة العربي المقولبة تكررت في رواية «نهاية امر» ثانية: «لقد تذكر انه، هنا في مكان ما ليس بعيداً من المقثأة، توجد حنفية؛ لكنه لم يرد العبور بجانب عريشة المقثأة، التي ربض فيها العربي احمد على فرشة قديمة ومبقعّة ومغطاة بناموسية ممزقة وملوثة»[٢٧]. هذه الصورة عن العربي هي صورة دامغة لوجهة النظر باللغة القولبة والتنميط عن العربي؛ العربي الوسخ والتافه والمرعب. ولا حاجة بنا الى ان نقف كثيراً عند هذه الصورة للتعليق والتفسير؛ فهي تقدّم صورة واضحة لتغلغل القولبة في